سلسلة احياء علوم الدين ٣

أحوال الميت

من نفخة الصور الى الإستقرار في الجنة أو النار

تهذيب وتعليق
الشيخ زهير شفيق الكبي



دار الفكر العربي
بيروت

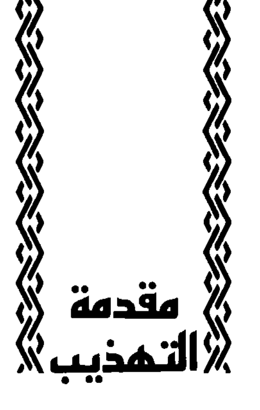
بسم الله الرحمن الرحيم

أحوال الميت



كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩١



مقدمة التهذيب

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين، خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه وسلم.

فقد يسر الله لي العمل على خدمة العلم الشريف بعرض وتهذيب جزء من كتاب يعد من أهم الكتب في موضوعه إن لم يكن هو الأهم، ألا وهو كتاب «**إحياء علوم الدين**»، للإمام الغزالي، وعلى وجه الخصوص الربع الأخير منه وهو ربع المنجيات، والذي يذكر فيه الغزالي كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، ويذكر في كل خصلة حدَّها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب ثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل وكلام أهل العلم.

وقد كان لكثير من العلماء الباع في هذا المجال، فألفوا كتباً مهمة في كل خصلة مما سبق، إلا أن الغزالي يتميز أنه جمع هذه الخصال في كتاب واحد، وحل ما عقدوه، وكشف ما أجملوه،

ورتب ونظم ما بددوه، وأوجز ما طولوه، وحذف ما كرروه، وحقق بعض الأمور الغامضة بطريقة سهلة ميسرة لكل قارىء، وهذا ما جعل الكتاب مقبولاً ومراداً ومرغوباً لكل عالم ومتعلم، وصار ينشده الكبير والصغير.

وإيماناً مني بأهمية الكتاب عكفت على تهذيب ربعه الأخير وإخراجه بحلة جديدة بكتب متفرقة، ليسهل تناوله وقراءته، لأن هناك موضوعات ربما تهم قارىء دون آخر، فيأخذ المريد ما يهمه منها. لذلك عملت على حذف بعض الأحاديث التي وهَّنها العراقي الذي خرج أحاديث الكتاب، وحذفت بعض الأحاديث الأخرى التي هي في معنى واحد. وحذفت أيضاً بعض العبارات أو استبدلتها بعبارات أسهل وأوضح للقارىء وقللت من الأمثلة الكثيرة التي يستشهد فيها الغزالي. هذا بالإضافة إلى بعض التعليقات التي تيسر للقارىء فهم نص أو مسألة من المسائل أو تعطي بعض المعلومات عن بعض الأسماء غير المشهورة. وقد نقلت تخريج العراقي ملخصاً عما ورد في الأصل بالإضافة إلى تخريج الأحاديث التي لم يخرجها العراقي.

هذا وأسأل الله أن أكون قد وفقت، إلى خدمة هذا الكتاب المهم وأسأل الله أن ينفع به كل قارىء، والحمد لله رب العالمين.

زهير شفيق الكبي

بيروت ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ
الموافق ١٠ كانون الثاني ١٩٩١ م.



الإمام الغزالي[1]

هو الإمام الجليل محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي، حجة الإسلام، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه، ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، فعلمهما وأرشدهما إلى مدرسة ليتعلما بها بعد أن عجز عن تيسير القوت لهما.

طوف الغزالي بعض البلاد طلباً للعلم، ثم لازم إمام الحرمين الجويني في نيسابور حتى قرأ الحكمة والفلسفة والخلاف والجدل والمنطق. وصنف في هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وأجاد وضعها.

---

(١) أنظر ترجمته في طبقات الشافعية ٤/١٠١ - ١٤٥، وشذرات الذهب ٤/١٠ - ١٣،ووفيات الأعيان ١/٤٦٣، ومفتاح السعادة ٢/١٩١ - ٢١٠، والبداية والنهاية ١٢/١٧٣ - ١٧٤. واللباب في تهذيب الإنسان ٢/٣٧٩، والمغنى في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم ١٩٣.

وبعد وفاة إمام الحرمين قصد الوزير نظام الملك وناظر الأئمة والعلماء في مجلسه وقهر الخصوم. ثم قدم بغداد ودرّس بالمدرسة النظامية وأعجب الخلق حسن كلامه، وكمال فضله وفصاحة لسانه، وأقام على التعليم مدة. ثم قصد بيت الله الحرام، فحج ثم قصد الشام، واستناب أخاه في التدريس، وجاور بيت المقدس، ثم عاد إلى دمشق واعتكف في زاويته بالجامع الأموي المعروفة بالغزالية نسبة إليه.

قال عنه الأسنوي في طبقاته، الغزالي إمام باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس، وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس... قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود.

أما مصنفاته فكثيرة جداً، منها: المستصفى، المنخول، شفاء العليل، البسيط، الوسيط، الوجيز، منهاج العابدين، وغيرها كثير جداً.

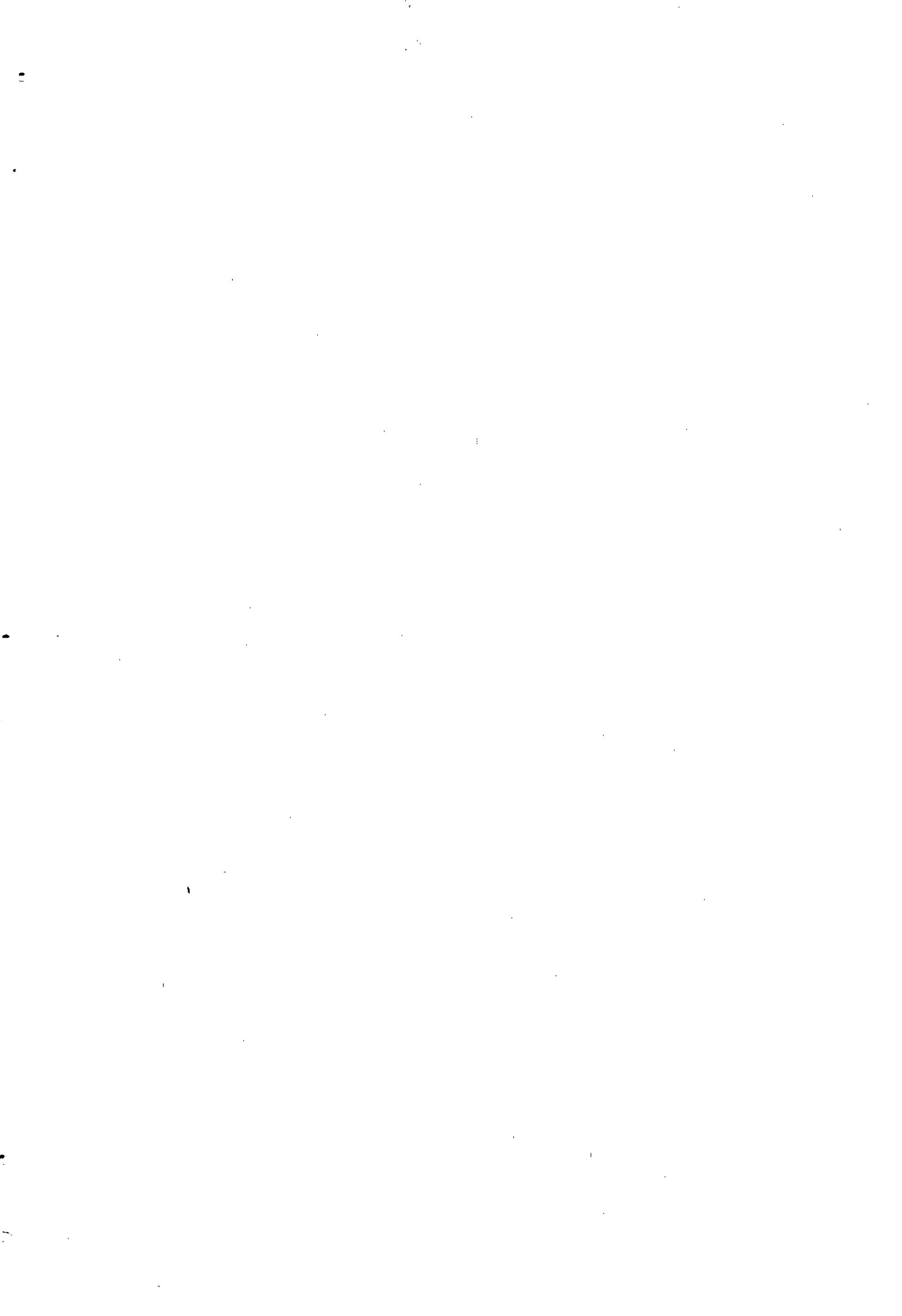
توفي بطوس يوم الإثنين رابع عشر جمادى الثانية سنة خمس وخمسمائة.



الشطر الثاني

من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الإستقرار في الجنة أو في النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار.

وفيه بيان نفخة الصورة. وصفة أرض المحشر وأهله. وصفة طول يوم القيامة. وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها. وصفة المساءلة عن الذنوب. وصفة الميزان. وصفة الخصماء ورد المظالم، وصفة الصراط. وصفة الشفاعة. وصفة الحوض. وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها. وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم. وصفة الحور العين والولدان. وصفة النظر إلى وجه الله تعالى. وباب في سعة رحمة الله وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى.





صفة نفخة الصور

قد عرفت في كتب سابقة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوباً عليه. وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير، ثم جواز الصراط مع دقته وحدّته، ثم انتظار النداء عند فصل القضايا إما بالإسعاد وإما بالإشقاء. فهذه أحوال وأهوال لا بدّ لك من معرفتها، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق، ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الإستعداد لها، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحرّ جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم، ومن

أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذي أخبر ـ صدقت، ثم مدّ يديه لتناوله، كان مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. وقد قال النبي ﷺ «**قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فيقول إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله إن يعيدني كما بدأني**»[1] وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور: ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له: إن صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتدّ نفور باطنه عن التصديق به، ولذلك قال الله تعالى ﴿**أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾[2] وقال تعالى ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**﴾[3] ففي خلق الآدمي، مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه، أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته؟ فإن كان في إيمانك ضعف فقوّ

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة. (العراقي).

(٢) سورة يٓس: آية ٧٧.

(٣) سورة القيامة: آية ٣٦ ـ ٤٠.

الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها، وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والإعتبار، لتسلب عن قلبك الراحة والفرار، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار، وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة. فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم، وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدّة الإنتظار لعاقبة الأمر، كما قال تعالى **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[1] وقال تعالى **﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾**[2] وقال تعالى **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد**

---

(١) سورة الزمر: آية ٦٨.

(٢) سورة المدثر: آية ٧ ـ ٨.

الرحمن وصدق المرسلون﴾[١] فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقي فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض، يعني يموتون بها، إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ**»[٢].

قال مقاتل[٣]: الصور هو القرن، وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدّة الفزع إلا من شاء الله، وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل، ثم روح ميكائيل، ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت. ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ[٤] أربعين سنة، ثم يحيي الله

---

(١) سورة يٓس: اية ٥٠ ـ ٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي وقال حسن، ورواه ابن ماجة بلفظ مختلف (العراقي).

(٣) ربما هو مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي الخراز، صدوق ثقة عالم صالح فاضل، روى عن مسلم والأربعة، مات قبل سنة ١٥٠ هـ بأرض الهند (انظر ترجمة في الكاشف ٣/ ١٧١، والتقريب ٣٤٦).

(٤) البرزخ: في الأصل الحاجز بين الشيئين، ومعناه هنا ما بين الموت والبعث، فمن مات فقد دخل البرزخ.

تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى **﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[1] على أرجلهم ينظرون إلى البعث. فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الإنبعاث خوفاً من هذه الصعقة، وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم. وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها،ولكن حشرتهم شدّة الصعقة وهول النفخة، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم، ذلك قوله تعالى **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾**[2] ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمرّدها وعتوّها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى **﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾**[3] فتكفر في حالك وحال قلبك هنالك.

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غُرلاً[4] إلى أرض المحشر، أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها

---

(١) سورة الزمر: آية ٦٨.

(٢) سورة التكوير: آية ٥.

(٣) سورة مريم: آية ٦٨.

(٤) غرلاً: أي غير مختونين.

عوجاً ولا أمتاً[1]، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها. بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي النفخة الثانية، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذٍ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة، قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها مَعْلم لأحد**»[2].

قال الراوي: والعفرة: بياض ليس بالناصع. والنقي: هو النقي عن القشر والنخالة، ومعلم: أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر.

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الإسم قال تعالى ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾[3]. قال ابن عباس: يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدّ مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها. فانظر يا

---

(١) الأمت: المكان المرتفع.

(٢) متفق عليه: (العراقي).

(٣) سورة إبراهيم: آية ٤٨.

مسكين في هول ذلك اليوم وشدّته، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر، وأظلمت الأرض لخمود سراجها. فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل[1] وصارت الجبال كالعهن[2]، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان**» قالت سودة ـ زوج النبي ﷺ راوية الحديث ـ قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال «**شغل الناس عن ذلك بهم ﴿لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾**[3][4]» فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والإلتفات. كيف وبعضهم يمشون على بطونهم

---

(١) المهل: المعدن المذاب.

(٢) العهن: الصوف.

(٣) سورة عبس: آية ٣٧.

(٤) أخرجه الثعلبي والبغوي، وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها. (العراقي).

ووجوههم فلا قدرة لهم على الإلتفات إلى غيرهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً ومشاة وعلى وجوههم**» فقال رجل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال «**الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»(١) في طبع الآدمي إنكار كل مالم يأنس به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصوّر المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشدّ إنكاراً لها! فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة.

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجنّ وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، وبعض الحديث في الصحيحين. (العراقي).

وقد تضاعف حرّها وتبدّلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العـالمين كقاب قـوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين. ولم يمكن من الإستظلال به إلا المقرّبون، فمن بين مستظـل بالعـرش وبين مضح لحـرّ الشمس قد صهرته بحرها واشتدّ كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحـام واختلاف الأقـدام، وانضاف إليـه شدة الخجلة والحيـاء من الإفتضاح والإختـزاء عند العـرض على جبار السمـاء، فاجتمـع وهـج الشمس وحر الأنفاس واحتـراق القلوب بنار الحيـاء والخوف ففـاض العرق من أصـل كل شعـرة حتى سـال على صعيـد القيامة. ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عنـد الله، فبعضهم بلغ العـرق ركبتيه، وبعضهم حقـوية، وبعضم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم كاد يغيب فيه. قـال ابن عمر: قـال رسول الله ﷺ: «**يوم يقوم الناس لرب العالمين ـ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[1] وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً يولجمهم ويبلغ أذقنهم**» كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيـح. وقال عقبـة بن عامـر[2]: قال رسـول

---

(١) متفق عليه (العراقي).

(٢) الجهني، صحابي مشهور، كان فقيهاً فاضلاً شريفاً مقرئاً فرضياً شاعراً، ولي إمرة مصر لمعاوية، مـات في سنة ٥٨ هـ ودفن بـالمطـم بمصـر (أنظر: التقريب ٢٤١، والإصابة ٢/٤٨٩، والكاشف ٢/٢٧٢).

الله ﷺ «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه ـ وأشار بيده فألجمها فاه ـ ومنهم من يغطيه العرق ـ وضرب بيده على رأسه هكذا[١]» فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادي فيقول رب أرحني من هذا الكرب والإنتظار ولو إلى النار، وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق؟

وأعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيمة شدّته طويلة مدته.

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم، يقفون ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه

(١) رواه الإمام أحمد (العراقي).

أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم. وقال الحسن[1]: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرّها واشتدّ لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرّم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال: دعوني! نفسي نفسي؟ شغلني أمري عن أمر غيري. واعتذر كل واحد بشدّة غضب الله تعالى وقال: قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً**﴾[2] فتأمل في طول هذا اليوم وشدّة الإنتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر.

واعلم أنّ من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدّة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة، قال رسول الله ﷺ ولما سئل عن طول ذلك اليوم فقال: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا**»[3]، فاجتهد أن

(١) ربما هو الحسن البصري الإمام المشهور.

(٢) سورة مريم: آية ٨٧.

(٣) أخرجه أبو يعلى والبيهقي في الشعب. (العراقي).

تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والإستعداد بيديك، فاعمل في أيـام قصار لأيـام طوال تربح ربحاً لا منتهى لسروره، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة، فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ربحك كثيراً وتعبك يسيراً.



فاستعدّ يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كوّرت، والجبال قد سيرت، والعشار قد عطلت، والوحوش قد حشرت، والبحار قد سجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوّجت، والجحيم قد سُعِّرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدّت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذٍ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش رب فوقهم يومئذٍ ثمانية، يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل

مرضعة عما أرضعت تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذٍ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام، ولا يسئل فيه عن الأجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدّمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصّديق رضي الله عنه: أراك قد شبت يا رسول الله قال: «شيبتني هود وأخواتها»[١] وهي الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كوّرت، فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرّك به اللسان، ولو كنت متفكراً فيما تقرؤه لكنت جديراً، بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين، وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن، فالقيامة أحد ما ذكر فيه. وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لنقف بكثرة أساميها على كثرة

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه. (العراقي).



الإنكدار، ويوم الإنتشار، ويوم الإنشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ويوم التغابن، ويـوم عبوس، ويـوم معلوم، ويوم الساعة، ويوم مشهود، ويوم لا ريب فيه، ويوم تبلى فيه السرائر، ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً، ويوم تشخص فيـه الأبصـار، ويـوم لا يـغـني مـولى عـن مـولى شيئـاً، ويـوم لا تملك نفس لنفس شيئـاً، ويـوم يدعون إلى نـار جهنم دعًا، ويـوم يسحبـون في النـار على وجوههم، ويوم تقلب وجوههم في النار، ويوم لا يجزي والد عن ولده، ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتـذرون، يوم لا مـرد لـه من الله، يـوم هم بارزون، ويوم هم على النـار يفتنون، يـوم لا ينفع مـال ولا بنون، يوم لا ينفـع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، يوم ترد فيه المعـاذير وتبلى السـرائر وتـظهر الضمـائر وتكشف الأستار، يوم تخشع فيه الأبصار، وتسكن الأصوات ويقل فيه الإلتفات، وتبرز الخفيات وتظهـر الخطيئـات، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد، ويشيب الصغير ويسكر الكبير، فيومئذٍ وضعت الموازين ونشرت الـدواوين، وبرزت الجحيم وأغلي الحميم، وزفرت النار ويئس الكفار، وسعرت النيران وتغيرت الألوان، وخرس اللسان، ونطقت جوارح الإنسان.

فيـا أيها الإنسـان ما غـرّك بربـك الكـريم، حيث أغلقت الأبـواب وأرخيت الستور، واستتـرت عن الخـلائق فقـارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل

الويل لنا معشر الغافلين، يرسل الله لنا سيد المرسلين، وينزل عليه الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرّفنا غفلتنا ويقول **﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾**(١)، ثم يعرّفنا قرب القيامة فيقول **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾**(٢) **﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾**(٣) **﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾**(٤) ثم يكون أحسن أحوالنا أن تتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه، ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

صفة المساءلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهاً من غير ترجمان، فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير. فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار، فما ظنك بنفسك

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١ ـ ٢.

(٢) سورة القمر: آية ١.

(٣) سورة المعارج: آية ٧.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٦٣.

إذا شاهدت مثلاً هؤلاء الملائكة أرسلوا ليأخذوك إلى مقام العرض، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده. وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين، فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين؟ وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة: أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد! وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب على جميعهم شعار الذل والخضوع، وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم.

وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله: **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾**[1] وقوله **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾**[2] فيبدأ سبحانه بالأنبياء **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾**[3]

---

(١) سورة الأعراف: آية ٦.

(٢) سورة الحجر: آية ٩٢.

(٣) سورة المائدة: آية ١٠٩.

فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة، إذ يقال لهم: ما أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون، فيقولون من شدة الهيبة: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب. وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى، فيدعى نوح عليه السلام فيقال له: هل بلغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله﴾**[1] فيبقى متشحطاً تحت هيبة هذا السؤال سنين، فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال، ثم تقبل الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض. وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار. ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق.

وقبل الإبتداء بالسؤال يظهر نور العرش **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾**[2] وأيقن كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد، وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه، وأنه المأخوذ بالأخذ والسؤال دون من عداه، فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند

---

(١) سورة المائدة: آية ١٦.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٩.

ذلك: يا جبريل ائتني بالنار، فيجيء لها جبريل ويقول: يا جهنم أجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها، فلم يلبث بعد ندائها أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها، وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ببالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعاً ورعباً فتساقطوا جثياً على الركب، وولوا مدبرين ﴿ترى كل أمة جاثية﴾[1] وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون بالويل والثبور، وينادي الصديقون نفسي نفسي. فبينماهم كذلك إذ زفرت الناس زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع، وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين.

وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ما أجبتم، فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة، ففرّ الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته، وبقي كل واحد منتظراً لأمره. ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاهاً عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن

---

(١) سورة الجاثية: آية ٢٨.

جميع جوارحه وأعضائه، قال أبو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: **«هل تضارّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»** قالوا لا، قال **«فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»** قالوا لا، قال **«فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع، فيقول العبد بلى، فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتني»**[1]، فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهاً. فيقول لك. ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته، ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدّ عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك، قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: **«أتدرون مم أضحك»** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال **«من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم**، قال **«يقول بلى»** قال **«فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً**، قال **«فيختم على فيه ويقال**

---

(١) متفق عليه (العراقي).

لأركانه انطقي» قال «فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل»[١] فنعوذ بالله من الإفتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره. سأل ابن عمر رجل فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: قال رسول الله ﷺ «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم»[٢] وقد قال رسول الله ﷺ: «من ستر على مؤمن عورته، ستر الله عورته يوم القيامة»[٣]، فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض؟ فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك، إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدّة الهول مظلم، فقدّر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس

(١) رواه مسلم. (العراقي).

(٢) رواه مسلم. (العراقي).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد بألفاظ مختلفة.

المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن مني، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه، وبأي لسان تجيب، وبأي قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً إذ يقول: يا عبدي؟ أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي، استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري، ألم أنعم عليك: فماذا غرّك بي أظننت أني لا أراك وأنك لا تلقاني. قال رسول الله ﷺ: **«ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالاً فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولاً فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة[1]»**، وقاله

---

(١) أخرجه البخاري. (العراقي).

ابن مسعود[١]: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول يا ابن آدم ما غرّك بي، يا ابن آدم ما عملت فيما علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنيك، وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه.

وقال مجاهد[٢]: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه؟ فأعظم يا مسكين بحياتك عند ذلك بخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأوّلون والآخرون، وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرّطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك!

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور.

(٢) هو مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المخزومي مولاهم، الإمام التابعي الحبر المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، صاحب ابن عباس رضي الله عنه، مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ (انظر ترجمته في التقريب ص ٣٢٨، والشذرات ١/ ١٢٥، والكاشف ٣/ ١٢٠).

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى الإيمان والشمائل، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق، **فرقة**: ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار، فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها، **وقسم آخر**: لا سيئة لهم، فينادي مناد ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون ويسرحون إلى الجنة، يم ثفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى. وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها.

ويبقى **قسم ثالث**: وهم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرّفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات؟ وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها، فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال «**ما يبكيك يا**

عائشة؟» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال «**والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط**[1]».

وعن أنس «يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار» قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة «**إنه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**» فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة» فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه قال: «**اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس**» قالوا وما هما يا رسول الله؟ قال «**يأجوج ومأجوج**» قال: فسرى عن القوم فقال: «**اعملوا وأبشروا**

---

(١) أخرجه أبو داود. (العراقي).

فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة[1]».

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ﴿**فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية**﴾[2].

واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل توزنوا. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى» ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، وبطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة. فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، هذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري. (العراقي).

(٢) سورة القارعة: الآيات ٦ ـ ١١.

فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم - حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله ﴿**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾[1] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس**﴾[2] الآية.

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشدّ حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً؟ فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون من المفلس**» قلنا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا

---

(١) سورة غافر: آية ١٧.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٤٢ - ٤٣.

دينار ولا متاع، قال «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١) فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والنقصير في الطاعات؟

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ «**إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهنّ سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء، وإن مَثَلُ ذلك مثل سفر نزلوا بغلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم**

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي.

يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا»[1] وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى ﴿**إنك ميت وإنهم ميتـون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾[2] قال الزبير[3]: يا رسول الله أيكرّر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب! قال: «**نعم ليكرّرن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه**[4]» قال الزبير: والله إن الآمر لشديد. فأعظم بشدّة يوم لا يسامح فيه بخـطوة ولا يتجاوز فيـه عن لطمـة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم! فاتقوا الله عباد الله، ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصـة فالمغفـرة إليه أسرع ومن اجتمعت عيه مـظالـم وقد تـاب عنها وعسـر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسنـاته ليـوم القصاص وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به

---

(١) رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصراً على آخره، وأما أول الحـديث فرواه مسلم مختصراً (العراقي).

(٢) سورة الزمر: آية ٣٠ ـ ٣١.

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله القرشي الأسدبي، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية وأحد العشرة المشهود لهم بالجنـة، قتل بعـد منصرفه من وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ (انظر ترجمته في التقـريب ١٠٦، والكاشف ٢ / ٣٢٠).

(٤) أخرجه أحمـد واللفظ له وأخـرجه التـرمذي أيضـاً وقال حسن صحيـح. (العراقي).

لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم، كما روي عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذلي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته قال: يا رب لم يبق من حسناته شيء فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال: يا رب يتحمل عني من أوزاري**» قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «**إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم**» قال «**فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صدّيق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال لمن أعطاني الثمن، قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه، قال: وما هو؟ قال عفوك عن أخيك، قال: يا رب إني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة**» ثم قال رسول الله ﷺ عن ذلك «**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين**»(١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك. (العراقي).

فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد، كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل الفضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء، وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سروراً وفرحاً وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً! أفترى أنّ هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به.

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك، ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق

أجمعين، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة، فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك، وأنت تنادي بالويل والثبور.

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾[٢] وفي قوله تعالى ﴿**فاهدوهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم إنهم مسئولون**﴾[٣] فالناس من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط، وهو جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الإستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أوّل قدم من الصراط وتردى. فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أنّ تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن

(١) سورة مريم: آية ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) سورة الصافات: آية ٢٣ ـ ٢٤.

المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدّة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤسهم وتعلوا أرجلهم، فياله من منظر وما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون في النار. وتقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً! يا ليتني كنت تراباً! يا ليتني كنت نسياً منسياً! يا ليت أمي لم تلدني! وعند ذلك تختطفك النيران ـ والعياذ بالله ـ وينادي المنادي ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[1] فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والإستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمناً وعنه غافلاً وبالإستعداد له متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك، وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ـ وإن سلمت ـ فناهيك به هولاً وفزعاً ورعباً! قال رسول الله ﷺ،

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١٠٨.

يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أوّل من يجيز بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلم اللهم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو[1].

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ «يمر الناس على جسر جهنم وعليك حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيدون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ثم يؤذن في الشفاعة»[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. (العراقي).

(٢) متفق عليه مع اختلاف ألفاظ. (العراقي).

إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال: «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنه من يعطي نوره مثل النخلة، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى وإذا أظلم قام» ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم «فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشدّ الفرس ومنهم يمر كشدّ الرجل حتى يمرّ الذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار» قال: «فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فنطلق به أي غدير عند باب الجنة فيغتسل».

فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطوّل فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة. ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء

(١) رواه ابن عدي والحاكم.

تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك؟ فماذا من الخوف في شيء؟ بل من خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه.

صفة الشفاعة

إعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزّدريه عينك هو ولي الله، ولا تستصغر معصية أصلاً فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه، ولا تستحقر أصلاً طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه. ولو الكلمة الطيبة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه.

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة: قال الله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[1] روى عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**رب إنهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك**

---

(١) سورة الضحى: آية ٦.

غفور رحيم)[١] وقول عيسى عليه السلام: (إن تعذبهم فإنهم عبادك)،[٢] ثم رفع يديه وقال «أمتي أمتي» ثم بكى فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهب إلى محمد فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل فسأله فأخبره. والله أعلم به - فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك[٣]. وقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٤]. وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر»[٥]. وقال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[٦].

وقال أبو هريرة أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٣٦.

(٢) سورة المائدة: آية ١١٨.

(٣) الحديث من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم. (العراقي).

(٤) متفق عليه (العراقي).

(٥) أخرجه الترمذي وابن ماجة. (العراقي).

(٦) متفق عليه (العراقي).

وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا سيد المرسلين يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام، فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته: نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله. فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها، نفسي

نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى عليه السلام. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي أمتي يا رب، فقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» ثم قال: «والذي نفسي بيده إن بين

المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى[1]».

وقال رسول الله ﷺ «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر[2]»**، وقال ﷺ: «**يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله[3]»**.

وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذٍ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»[4].
وقال رسول الله ﷺ: «**إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[5]**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إنّ الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً! وقال آخر: ماذا

---

(١) متفق عليه وهذه رواية مسلم (العراقي).

(٢) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، وابن ماجة والحاكم. (العراقي).

(٣) أخرجه الترمذي وقال حسن. (العراقي).

(٤) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب. (العراقي).

(٥) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب صحيح. (العراقي).

بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً! وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه! وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم ﷺ وقال: «**قد سمعت كلامكم وتعجبكم إنّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أوّل من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**[1]».

صفة الحوض

اعلم أنّ الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ وقد اشتملت الأخبار على وصفه، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أنّ من شرب منه لم يظمأ أبداً. قال أنس: أغفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسماً فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال «**آية أنزلت علي آنفاً**» وقرأ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر**﴾ حتى ختمها ثم قال: «**هل تدرون ما الكوثر**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد**

---

(١) رواه الترمذي وقال غريب: (العراقي).

عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء[1]». وقال أنس: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم **«بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوَّف قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هـذا الكوثـر الذي أعـطاك ربك فضـرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»**[2]، وقال كان رسول الله ﷺ يقـول: **«مـا بين لابتي حـوضي مثـل مـا بين المـدينـة وصنعاء ـ أو مثل ما بين المدينة وعمان»**[3].

وعن أبي ذرّ قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال **«والذي نفس محمد بيـده لآنيته أكثـر من عدد نجـوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المضحية، من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمـان وأيلة، مـاؤه أشـدّ بيـاضـاً من اللبن وأحلى من العسل»**[4]. وعن سمرة[5] قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ لكل نبي حوضاً وإنهم يتبـاهون أيهم أكثـر واردة وإني لأرجو أن**

---

(١) رواه مسلم. (العراقي).

(٢) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، ورواه البخاري (العراقي).

(٣) رواه مسلم. (العراقي).

(٤) رواه مسلم. (العراقي).

(٥) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار صحابي مشهور، من رواة الجماعة، مات بالبصرة سنة ٥٨ هـ (انظر: الإصابة ٢/٧٨ ـ ٧٩، والكاشف ١/٤٠٣، والتقريب ١٣٧).

أكون أكثرهم واردة[1]». فهذا رجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليرج كل عبدان يكون في جملة الواردين، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج، فإنّ الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى. نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإنّ الإغترار بالله أعظم من الإغترار بالدنيا قال الله تعالى: ﴿فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور﴾[2].

(١) أخرجه الترمذي وقال غريب (العراقي).

(٢) سورة فاطر: آية ٣٣.



يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الإنقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: **﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾**[1] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعدّ للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدّة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الكرب حتى أشفق البرءاء من سوء المنقلب. وخرج

---

(١) سورة مريم: آية ٧١ ٧٢.

المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل[1]، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾[2] فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرّهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم،

---

(١) انظر الكلام في طول الأمل في كتاب «سكرات الموت وشدته» من هذه السلسلة.

(٢) سورة الدخان: آية ٤٩.

فهم غـرقى في النار طعـامهم نار وشـرابهم نار ولبـاسهم نار ومهـادهم نار، فهم بين مقـطعات النيـران وسرابيـل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غـواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا بالثبور صب من فـوق رؤوسهم الحميم يصهـر بـه مـا في بـطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بهـا جباههم فيتفجـر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخـدود أحداقهم ويسقط من الـوجنات لحـومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلـوا جلوداً غيرها، قد عُرِّيت من اللحم عـظامهم فبقيت الأرواح منـوطة بـالعـروق وعـلائق العصب وهي تنش في لفـح تلك النيران، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سوّدت وجوههم أشد سواداً من الحميم، وأعميت أبصـارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهـورهم، وكسرت عظامهم، وجدعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمـع بين نواصيهم وأقـدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقـاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم. وانـظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها.

أما عدد أبوابها فهي بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي

العبد بعضها فوق بعض الأعلى: جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السير ثم الجحيم ثم الهاوية، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حدّ لعمق شهوات الدنيا، فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها. قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم» قال: «**هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها**[1]».

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حد محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة: فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان، بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه ما هو قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من النار يغلي دماغه من حرارة نعليه**»[2]. فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر بمن شدد عليه. ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من

---

(١) رواه مسلم. (العراقي).

(٢) متفق عليه. (العراقي).

النار وقس ذلك به. ثم اعمل أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهبهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين.

وقد صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال: «**أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرّت، ثم أوقد عليه ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليه ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**»[1]. وقال ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها**[2]».

وقال أنس بن مالك: يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيماً قط فيقال: لا، ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضراً قط؟ فيقول: لا وقال أبو هريرة: لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا. وقد قال بعض العلماء في قوله ﴿**تلفح وجوههم النار**﴾[3] إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفق عليه (العراقي).

(٣) سورة المؤمنون: آية ١٠٤.

ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحرهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو يميت **﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**(١) .

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى: **﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾**(٢) وقال تعالى **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾**(٣) .

وقال تعالى **﴿تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية﴾**(٤) وقال تعالى **﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾**(٥)

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ **«لو أن قطرة من الزقوم**

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٩ .

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٥١ ـ ٥٦ .

(٣) سورة الصافات: الآية ٦٤ ـ ٦٨ .

(٤) سورة الغاشية: آية ٤ ـ ٥ .

(٥) سورة المزمل: آية ١٢ ـ ١٣ .

قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم[1]»، فكيف من يكون طعامه ذلك؟

وقال أبو الـدرداء: قال رسـول الله ﷺ «**يلقى على النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بـطعام من ضـريع لا يسمن ولا يغني من جـوع، ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون كما كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فـإذا دخل الشـراب بطونهم قـطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعـون خزنـة جهنم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾** فيقولون **﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما** دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[2]قال «**فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك**» قال «**فيجيبهم إنكم ماكثون**»[3].

قال الأعمش[4]: أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة. (العراقي).

(٢) سورة غافر: آية ٤٩ ـ ٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي: (العراقي).

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش، تابعي مشهور بلقبه، ثقة حافظ عارف بالقراءة، ورع لكنه يـدلس، مات سنـة=

إياهم ألف عام قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا **غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾**[1] قال: فيجيبهم **﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾**[2] قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغربت بهم، فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة! قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا قوله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله. . . . الآية﴾**[3][4] وقال الرسول ﷺ «**إنّ في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على**

= ١٤٨ بالكوفة (انظر: التقريب ١٣٦، والكاشف ١/٤٠١، ومعرفة القراء الكبار ١/٩٤ ـ ٩٦).

(١) سورة المؤمنون: آية ١٠٦.

(٢) سورة المؤمنون: آية ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم. (العراقي).

من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له»[١] .

ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإنّ الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببه، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي، قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ **«ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»**[٢] ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدّد جلودهم ولحومهم. قال الحسن في قوله تعالى **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾**[٣] قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا.

ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعاتهم بالويل والثبور، فإن ذلك يسلط عليهم في أوّل إلقائهم في النار قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك**[٤]**»**. قال محمد بن كعب[٥]: لأهل

---

(١) أخرجه أحمد. (العراقي).

(٢) رواه مسلم. (العراقي).

(٣) سورة النساء: آية ٥٦.

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود. (العراقي).

(٥) هو محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي المدني، من كبار التابعين، =

النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل**﴾[1] فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿**ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير**﴾[2] ثم يقولون ﴿**ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل**﴾[3] فيجيبهم الله تعالى ﴿**أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال**﴾[4] فيقولون ﴿**ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل به**﴾[5] فيجيبهم الله تعالى: ﴿**أولم نعمرك ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير**﴾[6] ثم يقولون: ﴿**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾[7] فيجيبهم الله تعالى ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾[8] فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب.

وقال ﷺ «**يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح**

= نزل الكوفة مدة، ثقة حجة عالم، من رواة الجماعة، مات سنة ١٢٠ وقيل غير ذلك (انظر التقريب ص ٣١٦، والكاشف ٣/٩٢).

(١) سورة غافر: آية ١١.

(٢) سورة غافر: آية ١٢.

(٣)(٤) سورة إبراهيم: آية ٤٤.

(٥)(٦) سورة فاطر: آية ٣٧.

(٧) (٨) سورة المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨.

بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت[1] » . فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدّة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدّرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل، ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتها لكنها تعرض عليهم. فقد قال رسول الله ﷺ : **«يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأوّلون والآخرون بمثلها، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم**

---

(١) متفق عليه. (العراقي).

كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم. وقال عيسى عليه السلام. كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح. وقال داود: إلهي لا صبر لي على حرّ شمسك فكيف صبري على حر نارك؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾[1] ولعمري الإشارة به يوم القيامة، بل في أزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك!

فإن قلت: فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك

---

(١) سورة مريم: آية ٣٩.

وأعمالك، فإنّ كلاً ميسر لما خلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال الله تعالى ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**﴾[1] فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم.

---

(١) سورة الإنفطار: آية ١٣ ـ ١٤.



القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغموسها تقابلها دار أخرى، فتأمل نعيمها وسرورها واستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان، وسق نفسك بسوط الخوف، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن[1] إنس قبلهم ولا جان، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان، عليها من طرائف الحرير

(١) أي يباشرهن.

الأبيض ما تتحير فيه الأبصار، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان، قاصرات الطرف عين، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، لا يرهقهم فتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها، ويشربون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً في أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران، ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور، ويؤتون بأكواب وأي أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته، لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته، في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها، ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته

وحسن أصداغه وملاحة أحداقه. فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها. كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها؟ والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته! كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرير ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون، وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون. قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «**ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون﴾**[1][2]».

ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان، واقرأ من قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام

---

(١) سورة الأعراف: آية ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم: (العراقي).

ربه جنتان﴾[1] إلى آخر سورة الرحمن، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور. وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها، وتأمل أوّلاً عدد الجنان قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** قال «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**[2]». ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد**» فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**[3]»، وعن عاصم بن ضمرة[4] عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه، ثم قال

---

(١) سورة الرحمن: آية ٤٦.

(٢) متفق عليه. (العراقي).

(٣) متفق عليه. (العراقي).

(٤) هو عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي، صدوق، وثقه ابن المديني، وقال=

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾[1] حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها **﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾**[2] ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة، يقولون له: أبشر أعدّ الله لك من الكرامة كذا، قال: فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان ـ باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ـ فتقول: أنت رأيته؟ فيقول أنا رأيته وهو بأثري، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة[3] بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدّره لألم أن يذهب بصره، ثم يطأطىء رأسه فإذا أزواجه

= النسائي ليس به بأس، مات سنة ١٧٤ هـ (انظر التقريب ص ١٥٩، والكاشف ٢ / ٥٠).

(١) سورة الزمر: آية ٧٣.

(٢) سورة الزمر: آية ٧٤.

(٣) إسكفة الباب: عتبة الباب.

﴿وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾[1] ثم اتكأ فقال: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[2] ثم ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبداً، وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصحون فلا تمرضون أبداً. وقال رسول الله ﷺ «آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك[3] ».

ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [4] وقال تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [5].

والعجب أنه لو تقدّم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم

---

(١) سورة الغاشية: الآيات ١٤ - ١٦.

(٢) سورة الأعراف: آية ٤٣.

(٣) أخرجه مسلم. (العراقي).

(٤) سورة الحديد: آية ٢١.

(٥) سورة المطففين: آية ٢٦.

أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها، فقد قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر في الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم»** قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال **«بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين[1]»** وقال أيضاً: **«إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[2]»**.

وقال جابر: قال لنا رسول الله ﷺ **«ألا أحدثكم بغرف الجنة»** قال: قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك، بأبينا أنت وأمنا قال: **«إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** قال: قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ قال **«لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»** قال: قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال **«أمتي**

---

(١) متفق عليه. (العراقي).

(٢) رواه البخاري وحسنه، وابن ماجة. (العراقي).

تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام[١]».

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرفها لقناعته بالدنيا عوضاً عنها، فقد سئل ﷺ عن تربة الجنة فقال «درمكة بيضاء مسك خالص[٢]» وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا[٣]» ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها[٤]».

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة

---

(١) أخرجه أبو نعيم. (العراقي).

(٢) أخرجه مسلم. (العراقي).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. وبغير هذا اللفظ في النسائي بإسناد صحيح. (العراقي).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. (العراقي).

يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾[1][2].

وقال جرير بن عبد الله: نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه، فقلت للغلام: إنطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري! قال: ظلم الناس بعضهم بعضاً، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من صغره فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر.

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم

قال الله ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾[3] والآيات كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت

---

(١) سورة الواقعة: آية ٣٠.

(٢) متفق عليه. (العراقي).

(٣) سورة فاطر: آية ٣٣.

ولا أذن سمعت ولا خطر عن قلب بشر[1]»، وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج؟ فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟ من جاهل سأل عالماً» ثم قال رسول الله ﷺ «بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين[2]» وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «إنّ أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوّطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك، لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية» وفي رواية «على كل زوجة سبعون حلة[3]» وقال ﷺ في قوله تعالى ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ قال«إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب[4]» وقال ﷺ «الخيمة درّة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون[5]»، رواه البخاري في الصحيح قال

---

(١) متفق عليه مع بعض خلاف باللفظ (العراقي).

(٢) أخرجه النسائي. (العراقي).

(٣) متفق عليه. (العراقي).

(٤) أخرجه الترمذي. (العراقي).

(٥) متفق عليه. (العراقي).

ابن عباس: الخيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

صفة طعام أهل الجنة

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى، قال الله تعالى ﴿**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً**﴾[١] وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة، وقد قال ثوبان[٢] - مولى رسول الله ﷺ - كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أوّل إجازة - يعني على الصراط - فقال «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال «**زيادة كبد الحوت**» قال: فما غداؤهم على أثرها؟ قال «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال «**من عين فيها تسمى سلسبيلاً**» فقال: صدقت[٣] وقال زيد بن أرقم[٤]: جاء

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥.

(٢) هو ثوبان الهاشمي، صحابي مشهور، يقال إنه من العرب وقيل من السراة، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة ٥٤ هـ (انظر التقريب ص ٥٢، والإصابة ١/٢٠٤، والكاشف ١/١٧٥).

(٣) رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره (العراقي).

(٤) هو زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي، صحابي مشهور، أول

رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقرّ لي بها خصمته، فقال رسول الله ﷺ «**بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوّة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع**» فقال اليهودي: فإنّ الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ «**حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر**[٣]» وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشوياً**[٤]». وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى ﴿**يطاف عليهم بصحاف**﴾[٥] قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى مثله. وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿**ومزاجه من تسنيم**﴾[٦] قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقرّبون صرفاً. وقال لو أنّ رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، كان من خواص علي رضي الله عنه، توفي سنة ست أو ثمان وستين (انظر الكاشف ١/٣٣٦، والتقريب ص ١١١، والإصابة ١/٥٦٠).

(١) أخرجه النسائي بإسناد صحيح. (العراقي).

(٢) أخرجه البزار بإسناد صحيح. (العراقي).

(٣) سورة الزخرف: آية ٧١.

(٤) سورة المطففين: آية ٢٧.

صفة الحور العين والولدان

قد تكرّر في القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه. روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها**[(١)]» يعني الخمار، وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿**كأنهن الياقوت والمرجان**﴾[(٢)] قال «**تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك**[(٣)]». وقال **مجاهد في قوله تعالى ﴿وأزواج مطهرة﴾**[(٤)] قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد. وقال الأوزاعي: ﴿**في شغل فاكهون**﴾[(٥)] قال: شغلهم افتضاض الأبكار. وقال رجل: يا رسول الله أيباضع أهل الجنة؟ قال

(١) أخرجه البخاري. (العراقي).

(٢) سورة الرحمن: آية ٥٨.

(٣) أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن، ورواه أحمد، ورواه ابن المبارك في الزهد، وبغير هذا اللفظ في الترمذي. (العراقي).

(٤) سورة آل عمران: آية ١٥.

(٥) سورة يّس: آية ٥٥.

«يعطى الرجـل منهم من القوّة في اليـوم الواحـد أفضل من سبعين منكـم[١]»، وقال عبد الله بن عمر، إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه. وقال النبي ﷺ «إن في الجنة سوقاً ما فيها بيـع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها، وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات نباس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنـا وكنا له[٢]».

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنـة وردت بها الأخبار

روى أسامة بن زيد أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هـي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمـة في مقام أبـدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة» قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله قال: «قولوا إن شاء الله تعالى» ثم ذكر الجهاد وحض عليه[٣]. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: هل في الجنة

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه وابن حبان. (العراقي).

(٢) أخرجه الترمذي. (العراقي).

(٣) أخرجه ابن ماجة وابن حبان. (العراقي).

خيل فإنها تعجبني؟ قال: «**إن أحببت ذلـك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت**» وقال له رجل: إنّ الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل؟ فقال يا **عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك**»[1]

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي، يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة**[2]». وقال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة جرد مرد جعاد مكحولون أبناء ثلاث: ثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع**[3]» وقال رسول الله ﷺ «**أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خـادم وثنتـان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإنّ عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغـرب**[4]» وقال ﷺ «**نـظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت، وإذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت؟ فقالت**

---

(١) أخرجه الترمذي. (العراقي).

(٢) أخرجه ابن ماجة والترمذي وقال حسن غريب، وقال: وقد اختلف أهـل العلم في هــذا، فقـال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد. انتهى (العراقي).

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه، وبغير هذا اللفظ في الصحيحين. (العراقي).

(٤) أخرجه الترمذي (العراقي).

لزيد بن حارثة، وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]».

وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال: إنّ رمانها مثل الدلاء، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنها من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصدع منها الرؤوس، وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثون في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء، كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار، وإن أنهارها لتجري على رضراض[2] من ياقوت وزبرجد، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة، وإن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت، يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون، وإن المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة، قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت، لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون، وإنما هو جشاء ورشح مسك، لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا، أما إنه ليس ليل يكرّ الغدوّ على

---

(١) رواه الثعلبي في تفسير، وآخره في الصحيحين. (العراقي).

(٢) الرضراض: الحصى الصغار في مجاري الماء.

الرواح والرواح على الغدوّ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمدّ له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ، ويفسح له بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثله، ويجد طعم آخره، كما يجد طعم أوّله، وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب.

وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي.

وقال سعيد بن المسيب[1]: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

---

(١) هو سعيد بن المسيب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين (انظر: التقريب ١٢٦، والكاشف ١/٣٧٢).

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[1] وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبد الله البجلي[2]: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**﴾[3][4] وهو مخرج في **الصحيحين** وروى مسلم في الصحيح عن صهيب[5] قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ قال «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا: ما هذا**

---

(١) سورة يونس: آية ٢٦.

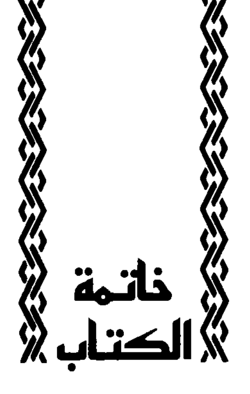
(٢) يكنى أبو عمرو أو أبو عبد الله صحابي مشهور، كان جميلاً سيداً مطاعاً، كان لقبيلته بجيلة أثر عظيم في فتح القادسية مات سنة ٥١ وقيل ٥٤ (انظر الإصابة ١/٢٣٢، والتقريب ص ٢٥٤ والكاشف ١/١٨٢).

(٣) سورة طه: آية ١٣٠.

(٤) ربما هو صهيب بن سنان النمري أبو يحيى الرومي، صحابي من السابقين، شهد بدراً، اشتهر بلقبه وكان اسمه عبد الملك، مات سنة ٣٨ هـ (انظر الكاشف ٢/٣٢، والتقريب ص ١٥٤).

الموعد؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟» قال «**فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه**» وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة، وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى، وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء





خاتمة الكتاب

في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل(١) وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل، ونرجوأن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**(٢) وقال تعالى **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾**(٣) وقال تعالى **﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾**(٤).

---

(١) يشير إلى قول النبي ﷺ «. . . . ويعجبني الفأل الصالح والكلمة الحسنة» متفق عليه. (العراقي).

(٢) سورة النساء: آية ٤٨.

(٣) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٤) سورة النساء: آية ١١٠.

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم نستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه. فقد قال رسول الله ﷺ «**إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة من الجنّ والإنس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**[١]» ويروى أنه كان «**يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه إنّ رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة**[٢]» وقال رسول الله ﷺ: «**يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً**[٣]».

وقال رسول الله ﷺ «**يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام**[٤]» وقال رسول

---

(١) أخرجه مسلم. (العراقي).

(٢) متفق عليه (العراقي).

(٣) أخرجه مسلم. (العراقي).

(٤) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب. (العراقي).

الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار. فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[1][2] وقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها[3]» وقال جابر بن عبد الله: من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويروى أنّ الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه. وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار، فيقول الله تبارك وتعالى: ذلك بما قدّمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردهما إلى النار،

---

(١) سورة الحجر: آية ٢.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى بإسناد صحيح. (العراقي).

(٣) متفق عليه. (العراقي).

فيعـد أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر ويأمر بردهما ويسألهما عن فعلهما، فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرّض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة. ويروى أنّ أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾[1] فقال الأعرابي: فوالله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها، فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه. وقال الصنابحي: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال: مهلاً..... لم تبكي؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدّثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله حرّم الله النار عليه**[2]» وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ «**إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مثل مدّ البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب. فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا**

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٢) متفق عليه. (العراقي).

ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله» فيقول رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تظلم» قال «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة» قال «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء[1]» وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط: «إن الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به» فكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾[2] قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة

---

(١) أخرجه ابن ماجة والترمذي وقال حسن غريب. (العراقي).

(٢) سورة النساء: آية ٤٠.

فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض» قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال: **«فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً»** رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: **«عرضت على الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه، ثم قيل لي انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سدّ الأفق، فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سواد كثيراً، فقيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»** فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا. أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال **«هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام

عكاشة[1] فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال: **«أنت منهم»** ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي ﷺ **«سبقك بها عكاشة[3]»**. وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ **«عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم وإن سرق وإن زنى، قلت، وإن سرق وإن زنى؟ قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر[2]»**. **وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة: أنه حدّث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي ﷺ قال «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً»** فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ـ ثلاث مرات ـ أن أباه حدّثه عن رسول الله ﷺ فحلف له وروى أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادي عليه فيمن يزيد ـ في يوم صائف شديد الحرّ ـ فبصرت به إمرأة في خباء القوم فأقبلت تشتدّ وأقبل أصحابها خلفها، حتى أخذت الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحرّ، وقالت: ابني ابني! فبكى الناس وتركوا ماهم فيه، فأقبل

---

(١) هو عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين وشهد بدراً، وقد ضرب بقوله: «سبقك بها عكاشة» المثل يقال للسبق في الأمر، استشهد في قتال أهل الردة (انظر الإصابة ٢/٤٩٤ ـ ٤٩٥).

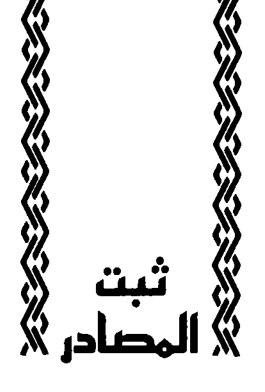
(٢) متفق عليه. (العراقي).

رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال: «**أعجبتم من رحمة هذه لابنها؟**» قالوا: نعم، قال ﷺ «**فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها**[1]» فتفرّق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة.

فهذه الأحاديث تبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته.

---

(١) متفق عليه مختصرا مع اختلاف (العراقي).



- أخبار القضاة، وكيع محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، بيروت، لات.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ط ٥، ١٩٨٣.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٩.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لا ت.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار نشر الكتب الإسلامية، كوجر انواله، (باكستان) ط ١، ١٩٧٣.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، الدكن، ١٣٢٦ هـ.

- الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت ١٩٨٠ .
- سنن الدارمي، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لات .
- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت، لا ت .
- سنن ابن ماجة، للحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لات .
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لات .
- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨ .
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين ابن تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، لات .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، لات .
- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد لات .
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للحافظ

الذهبي، مطبعة دار التأليف، مصر، لات.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، نشرة ڤنسنك، مكتبة بريل، ليدن، ١٩٣٦.
- المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وغيره، دار الفكر، بيروت، لا ت.
- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، محمد طاهر الهندي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، مطبعة الحلبي، مصر ١٣٤٩ هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، مصر، ١٣١٠ هـ.



الفهرس